

«رماد» مرشح لـ«سيزار» و«نحوسة» بميزانية قليلة

جريج حاجي توما والمداد الذي لا يتم

الفرنسية TV5، ومهرجان روتردام في هولندا. تكون فريق العمل من تقنيين وفنانين لبنانيين وفرنسيين وعرب. كجان لابواري (مديرة التصوير) وغيروم لوبراز (صوت) وفارس العجمي (مدير إنتاج) وماريان كترا (مساعدة مدير الإنتاج) وزينة صعب ديميليريو (سكريبت) وصوفي خياط (ديكور) وصوفي أودبيه (مساعدة أولى للمخرج) وكورين شادي (مساعدة ثانية للمخرج).

يبدأ المخرجان السينمائيان خليل جريج وجوانا حاجي توما تصوير فيلم روائي طويل جديد لهما بعنوان مؤقت «نحوسة»، يوم الاثنين المقبل في الأول من تشرين الثاني ٢٠٠٤، في موقع لبناني عدّة، لمدة خمسة أسابيع. تمثيل جوليا قصار وزياد سعد وعدد من الممثلين غير المحترفين. بعد أن حصل على ميزانية متواضعة من مؤسسات أوروبية أبرزها "Fonds Sud" و«الوكالة الدولية للفرانكوفونية» والمحطة التلفزيونية



جوانا حاجي توما (مصطفى جمال الدين) لـ«السفير» إنها وجريج حصلا على مبالغ قليلة للغاية «هي في الواقع ميزانية متواضعة جداً». مضيفة أنها لم يشاءوا مراكمه ديون عليهما، فقررا بدء التصوير وتنفيذ الفيلم كأنه «مغامرة» أقدموا عليها ورغبا في عيشها كما هي: «إذا لم يكن بإمكاننا تحقيق فيلم بميزانية كبيرة، فلنحققه بميزانية متواضعة. ما حصلنا عليه لا يكفي لأنجاز فيلم طويل. لكن لم يكن واردا عندنا أن نحقق أفلاماً يجب أن نصنع شيئاً. المنتج الفرنسي إدوار موريما شجعنا على خوض هذه التجربة، على الرغم من معرفته بضاللة الميزانية، على نقيض منتجين آخرين يرفضون العمل إذا لم يتتوفر جزء كبير من الميزانية». ورأت أن المبلغ الذي جمعاه مخصص بإنجاز الفيلم كلّه: «إنه للتصوير والتوليف والتحميض وتظليل النسخة الأولى منه. هذا يعني أننا مضطرون للتضحية بأمور عدّة. الفنان فريق عمل أصغر بكثير من المعتاد، خصوصاً الفريق الذي عمل معنا في مرحلة التحضير». قال جريج: «ألفينا فكرة تشييد ديكورات خاصة بمشاهد نتوي تصویرها، وقررنا اختيار أماكن طبيعية لذلك: مثلاً هناك مشهد يتطلب تصويراً في ملهي ليلي، ستصوره في ملهي ليلي بالاتفاق مع مديره ومع من يوافق من الزبائن الكاميرا. إذا احتجنا إلى على الظهور أمام الكاميرا. إذا احتجنا إلى مقهى، نصور في مقهى، الخ. على نفسك ما فعلناه في «البيت الذهبي»، حيث أنشأنا ديكورات بدلتناها في تقديم واقعية المشهد، لأننا حصلنا يومها على إمكانيات كبيرة. في «نحوسة»، ليست المسألة غياب الإمكانيات الكبيرة فقط، إنما هناك رغبة في خوض تجربة مختلفة تدفعنا إلى الذهاب إلى مثل هذه الأمكنة الواقعية لنصور فيها ما نريده. لا نعرف سلفاً ما هي نتيجة ذلك، أو ما الذي ينتظروننا، أو كيف سنتعااطي مع الواقع. أحببنا الفكرة، وقررنا تجربتها».



خليل جريج الخاص فقط. إنها خليط متداخل من التفاصيل والأشياء والخبريات التي أعادت رسم شيء من حياتي في مجتمع م Shrدم وخاضع لسيطرة تأثيرات خارجية عليه. في لقائهما «السفير»، حاولت جوانا حاجي توما أن تقدم صورة مختصرة عن القصة، فقالت إن محورها متعلق بشخصين يعيشان، في أربع وعشرين ساعة فقط هي مدة أحداث الفيلم، تجربة تدفعهما إلى التقابض والابتعاد في وقت واحد: «لدى بطل الفيلم مشكلة مرتبطة بعجزه عن النوم، إذ أنه مصاب بمرض انقطاع التنفس لثوان عدّة وهو نائم، مما يجعله مستيقظاً في الليل ومتعباً ومنهاكا طوال النهار. لهذا كلّه علاقة بالواقع. فالفيلم يصور إيقاعات عدّة خاصة بالناس والمدينة ونمط الحياة وأسلوب العيش، الخ. يختلف إيقاع بطل الفيلم عن إيقاع المدينة. والإيقاعان المختلفان للبطل والمدينة لا يشبهان إيقاع المجتمع. ما نحاول، خليل وأنا، أن نرويه هو التالي: لم يجسم بطل الفيلم وضعه ولم يشاً أن يقطع مع مشاكله بهدف الخلاص منها. هذه مسألة مهمة للغاية. البطل وأمه عاجزان عن حسم الأمور كلّها، لأنهما لم يُقدما شعائر الحداد القاتمة على تحريرهما من وطأة الألم والقلق». أضاف خليل جريج: «هناك نقطة أود التوقف عنها: كيف يمكنك كجسد أن تكون موجوداً في مكان مثل لبنان. هذا سؤال نحاول معًا الإجابة عنه في سياق الفيلم ومننا». أضافت جوانا: «الفيلم يشبهنا. وضعاً فيه أشياء كثيرة من تجربتنا وانفعالاتنا وأحساسنا إزاء البلد والعالم». بينما قال خليل إن الفيلم يروي علاقتنا بالحداثة والواقع وبما هو مطلوب منا أن نفعله ورفضناه أو لم ننشأ أن نفعله أو لم نحب أن ننفذه. هناك أيضاً العلاقة بالأهل وهي ليست سوداء أو بيضاء».

تفاصيل إنتاجية

في موضوع الإنتاج، قالت حاجي توما

بعد مرور خمسة أعوام على تحقيقهما «البيت الذهبي»، فيلمهما الروائي الطويل الأول، يبدأ خليل جريج وجوانا حاجي توما تصوير فيلم روائي طويل ثان لهما، منحاه عنواناً مؤقتاً هو «نحوسة». على الرغم من ذلك، لم يكن مهمًا سؤالهما عن سبب غيابهما عن الروائي الطويل في خلال الفترة السابقة هذه، إذ إن المهتمين بالشأن السينمائي يعرفون الجواب: أزمة الإنتاج وصعوبة الحصول على تمويل لازم. لكن المعنيين بالسينما اللبناني يدركون أن العمل السينمائي لا يعني إنجاز فيلم روائي طويل فقط، بل يتشكل أيضاً من أنواع بصرية مختلفة. حقّ جريج وجوانا توما بعضاً منها في الأعوام الفائتة، وأخرها «رماد»، روائي قصير غاص في تشعبات حالة إنسانية واجتماعية لبنانية ناتجة من مصائب الموت وعالمه.

مفاجأة «رماد»

في بداية لقائي بهما، تحدث جريج وجوانا توما بفرح عن «مفاجأة» تلقاها معاً قبل أيام قليلة على بدء تصوير «نحوسة»: اختيار «رماد» للمشاركة في التصفيية الأولى لجوائز «سيزار»، المعايير الفرنسي للجوائز الهموغرافية «أوسكار»، مع اثنين عشر فيلماً روائياً قصيراً من دول مختلفة. ذلك أن اللجنة المشرفة وزعت هذه الأفلام على ثلاثة آلاف مُتنفس فرنسي بشؤون سينمائية متنوعة لاختيار أربعة أفلام فقط تتنافس على جائزة واحدة في التصفيات الأخيرة، علماً أن نتائج هذه «المسابقة» الدولية الخاصة بالأفلام الأجنبية (هناك جائزة خاصة بالأفلام الأجنبية) تُعلن سنوياً في شهر شباط.

أما «نحوسة» فتجربة سينمائية جديدة لها على مستوى الإنتاج والتنفيذ، إذ أنها قررا خوض مغامرة مختلفة في تحقيقه، انطلاقاً من حصولهما على ميزانية متواضعة أتاها لهما أولاً تصوير الفيلم بكامييرا «سوبر ١٦» من دون اللجوء إلى ديكورات مصنوعة بل طبيعية. ذلك أنهما ارتأيا النزول إلى الشارع والتقطان المشاهد المطلوبة من الواقع المعيش والناس الموجودين هنا وهناك، بدل اللجوء إلى إعادة بناء هذا الديكور، أو ذاك الحي، أو تلك الحانة. وبقدر ما يحتمل السيناريوج توقاً إلى سبر أغوار المدينة وناسها وذكرياتها وتفاصيلها بالتناقضات المختلفة، وضفت خطأ التنفيذ على الحد الفاصل بين الوثائقي والروائي، على الرغم من خطورة السير عليه. فالالتقط المشاهد كما هي في الواقع تبدو وكأن الفيلم متوجه صوب الوثائقي، في حين أن الحركة والمعالجة مصنوعتان بتقنية الروائي، والقصة «مقتبسة» من الواقع الإنساني اللبناني والتجربة الشخصية.

يصعب اختصار القصة المتشعبة في ثنائية الروح والجسد، والذاهبة بالحس الإنساني إلى تخوم الذات. وعلاقتها بنفسها والآخر القريب منها والعالم وتحولاته. لا تتحرر الحكاية من الذاتي، لكنها لا تعكس